فهود الصحراء

محمود سالم

فهود الصحراء

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

فهود الصحراء

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٢ ٣٠٢٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
لقاء البيرق!	١١
فهود الصحراء!	١٧
الاختطاف البيولوجي!	٢٣
الاتفاق الخطير!	٢٩
الهبوط بالمظلات!	٣٥
اصطياد الفهود!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

لقاء البيرق!

كانت الساعة قد تجاوزَت منتصفَ الليل ... عندما غادر «أحمد» المقرَّ السري بـ «الهرم». فقد كان لديه موعدٌ مهمٌّ للغاية مع رجل أكثر أهمية في مكان آثرَ الرجل أن يكون مكانًا عامًّا يرتادُه الجميع ... وقد اقترح عليه «أحمد» أن يكون فندق «سميراميس» هو هذا المكان ...

الطريق ما بين ميدان «الرماية» — حيث يقع المقرُّ السري — وفندق «سميراميس» لا يستغرقُ عبرَ الطريق الدائري أكثرَ من ثلث الساعة ... هذا إذا سار بالسرعة العادية ... أما إذا أطلق العنان لـ «اللاندكروزر» فسيصلُ إلى الفندق قبل موعده بربع الساعة.

لفحَت الرياحُ الباردة وجهَ «أحمد» وهو في طريقه من مبنى المقر إلى سيارته «اللاندكروزر»، وأحسَّ وهو يجلس خلف عجلة القيادة ... بقشعريرة تَسْري في جسده ... فانتابه القلقُ من أن يكون مقبلًا على نوبةِ بردٍ حادة ... وقرَّر أن يستعدَّ لها بكل ما يستطيع من أدوية ... فهو يشعر أنه مقبلٌ على عملية جديدة مثيرة.

عبرَت «اللاندكروزر» الممرَّ القاطع لحديقة المقر ... وقبل أن تبلغ الباب الخارجي ... انفتح الباب تلقائيًّا ... فانطلقَت السيارة لتعبرَه مغادرةً المقرَّ ... وفي انحناءة واسعة دارَت حول سورِه الخارجي واختفَت ... لتظهرَ مرة أخرى على الطريق الدائري الذي كان خاليًا إلا من سيارتَي نقلِ حاويات ... فانطلق يتجاوزهما ... ويُطلق العنانَ لعداد السرعة الذي تقافزَت الأرقامُ على شاشته ولم تهدأ إلا أمام مدخل جراج الفندق ... إلى أن توقَّفَت تمامًا ... فغادر «أحمد» السيارة ولم يوافق على ترك مفاتيحها لسائس الجراج ... وفي خطوات رشيقة دار حول الفندق ... حتى بلغ بابَه الرئيسي ... فرأى الرجل الذي أتى خصيصًا ليقابلَه ... يغادر سيارة مرسيدس حديثة سوداء ... وقد وقف سائقها ممسكًا له بالباب أمام مدخل الفندق، فأكمل سيرَه إلى داخل الفندق وكأنه لم يرَه، وفي ركن هادئ باللوبي

جلس ينتظره شاغلًا نفسه بالحديث في تليفونه المحمول وقد كانت على الخط معه «إلهام» التي كانت تنتظر مكالمته هذه، فقالت له: أنت الآن في الفندق وتجلس وحدك في اللوبي في انتظار حضور «البيرق» ... أليس كذلك؟

ضحك «أحمد» من طريقتها في الحديث، وقال لها: وكأنكِ تقفين بالباب وترصدين ما يجري هنا ...

فأكملَت «إلهام» في جدية شديدة: و«البيرق» ينزل الآن من سيارته المرسيدس السوداء التي فتح له بابها السائق ...

ابتسم «أحمد» لمهارتها، وقال لها: لقد رأيته وأنا في طريقي إلى هنا ... أما الآن فأنا لا أرى شيئًا خارج الفندق.

فأكملَت «إلهام» قائلة: إنه يقف الآن مع موظف الاستقبال وينظر إليك ... حيث أشار له الموظف.

خفض «أحمد» من صوته، وقال لها مندهشًا: إنكِ بارعة.

فخفضَت من صوتها تُقلِّده وقالت له: إنه في الطريق إليك ... هل أتمنى لك التوفيق؟

فَهِم «أحمد» أنها تريد أن تُنهيَ المكالمة ... فقال لها: إلى اللقاء ...

نهض «أحمد» واقفًا في وقار ... ومدَّ يدَه يُصافح «البيرق» ... إنه رجلٌ ضخم كثيفُ شعر الرأس ... أسود ... مهيب الطلعة ... أنيق في فخامته.

شدَّ الرجل على يد «أحمد» بحرارة ... وانحنى ليجلس، فتهدل شعرُه على جبينه وكان «أحمد» يرمقه بإمعان ... وقد لاحظ هو ذلك ... فنظر له مبتسمًا قبل أن يستويَ جالسًا ...

جاوب «أحمد» ابتسامتَه بسؤال مفاجئ قائلًا: أشعر أننا التقَينا قبل ذلك ...

لم تفارق الابتسامةُ وجهَ «البيرق» وهو يقول: كنت أتمنَّى ذلك ...

«أحمد»: تقصد أنه لم يحدث؟

سوَّى الرجلُ خصلاتِ شعره بأصابعه وهو يقول: هل التقينا لقاءً عابرًا لا أذكره أنا؟

رمقه «أحمد» متأملًا وهو يقول: لم يكن لقاءً عابرًا.

ابتسم الرجل ثم قطَّب ما بين حاجبَيه وقال في لهجة حاسمة محاولًا إنهاء الموقف: أنا لا أذكر أني قابلتُكَ من قبل.

اعتدل «أحمد» في جلسته ثم شبَّك أصابعَ يدَيه ونظر إلى الأرض مفكرًا ... ثم رفع رأسَه ونظر إلى «البيرق»، وقال له: لقد طلبتَ مقابلتي ... هل يمكنني مساعدتُك؟

البيرق: بالطبع ... وإلا ما طلبتُ مقابلتك ...

أحمد: أعرف أنك رجلٌ مهمٌّ في بلدك.

البيرق: أَرْأَسُ أحدَ الأجهزة الأمنية في بلدي.

أحمد: وهل للقائنا علاقة بعملك؟

البيرق: نعم ... فهو عملية اغتيال.

رجع «أحمد» إلى الخلف واستند بظهرِه على مسند المقعد الجالس عليه، وقال وهو يرمق الرجل بنظراتِ الشك: اغتيال مَن؟!

البيرق: اغتيالُ رئيسِ أكبرِ مجموعة شركات تمَّ دمجُها حديثًا.

تقلَّصَت عضلاتُ وجهِ «أحمد» وهو يسأل في اهتمامٍ وجدية شديدة قائلًا: وهل تعرفون سببًا لذلك؟!

وفي اندفاع قال «البيرق» وصوتُه يملؤه الأسى: هناك قوًى خارجية لا تريد لبلدنا أن يستقرَّ وأن ينموَ ويزدهر ... هناك قُوًى خارجية لا تريد لسياستنا الخارجية أن يكون لها توجُّه قومي.

أحمد: تقصد التفريق بين العرب؟

البيرق: نعم ... إنهم يريدون لبلدنا أن تنكبَّ على مشاكلها الداخلية ... وأن تنشغلَ بمواجهة الإرهاب وحوادث الاغتيال والصراعات السياسية والعِرْقية والدينية.

أحمد: كلُّ هذا مفهوم ... لكن أن يتطورَ الأمرُ إلى التخطيط لاغتيالِ رئيسِ المجموعة ... فهذا هو الجنون بعينه!

البيرق: إنهم مجموعة كبيرة من العاملين بشركات المجموعة، قام الرئيس الجديد بتسريحهم ... استقطبَتهم مؤسسةٌ أجنبية ... ووفَّرَت لهم الدعم المادي والتدريب والسلاح ... وقد وصلَتنا وتَصِلنا عنهم معلومات دائمة ...

صمت «أحمد» لثوانٍ ... وهو ينظر إلى «البيرق» الذي كان ينتظر منه ردًّا إيجابيًّا ... وتسرَّب التوتُّر شيئًا فشيئًا إلى الرجل ... فتململ في قعدته ... ثم انتفض واقفًا ... فلم يرفع «أحمد» رأسَه إليه، فأخذ يذرع المكان جيئةً وذهابًا إلى أن توقَّف فجأةً أمام «أحمد» واضعًا يدَيه في جيبَي بنطلونه وقال منفعلًا ولكن بصوت خفيض: أما ستُساعدنا أم لا ...

باغتَه «أحمد» قائلًا: أليسَت هذه شئونًا داخلية ... وليس لنا أن نتدخل فيها؟

البيرق: هذا إذا لم نطلب نحن منكم ذلك ...

أحمد: ماذا تقصد بنحن؟!

البيرق: أقصد الرئيس وأنا وبعض المسئولين.

أحمد: وهل سأقابل الرئيس؟

البيرق: غدًا إن شئت ...

أحمد: لا ... لا ... ليس الآن ... سأحتاج لبعض الوقت لدراسة الأمر.

البيرق: هل يعني هذا أنك توافق على مساعدتنا؟

أحمد: بالطبع ... ولكن بعد أن أقرأَ ملف العملية ... أليس لديك ملفٌ للعملية؟

البيرق: نعم ... نعم.

قال هذا ... ثم أخرج أسطوانة مدمجة من الجيب الداخلي للجاكت الذي يرتديه، وناولها لـ «أحمد» الذي دسَّها بنعومة في جيبه ثم انتفض واقفًا وهو ينقل مفاتيح سيارته من اليد اليمنى إلى اليد اليسرى ثم مدَّ يده إلى «البيرق» فحيَّاه ... على وعد باللقاء قريبًا ...

غادر «أحمد» «الفندق» وحده ... فقد عرَف أن «البيرق» ينزل في نفس الفندق ... غير أنه وبعد أن عبَرَ كوبري «قصر النيل» تذكَّر أنه لم يَقُم بواجب الضيافة نحو الرجل، فقام بالاتصال به في الفندق ... فاستمهله الموظف لثوانٍ إلى أن حوَّل له المكالمة ... فأتاه صوتُ «البيرق» يقول: مرة أخرى أسعد بسماع صوتك سيد «أحمد».

ابتسم «أحمد» في ودٍّ وقال له: أهلًا بك سيد «بيرق»، لقد نسيتُ شيئًا مهمًّا للغاية.

البيرق: وما هو سيد «أحمد»؟

أحمد: أرجو أن أراك على الغداء غدًا ...

البيرق: هل أعتبره غداءَ عمل؟

أحمد: لا، بل غداء ترحيب.

همس «البيرق» وتورَّد صوتُه، وقال شاكرًا معتذرًا: سيدي، دَعْني أشكرك كثيرًا على هذه الدعوة الكريمة ... ولكني مرتبطٌ غدًا بمواعيد ... أما عن ترحيبك فأنا أشعر به وأشكرك كثيرًا عليه.

كان «أحمد» قد اعتلى كوبري «مايو» عندما وضع الأسطوانة المدمجة في غرفتها الخاصة بكمبيوتر السيارة ... وبالضغط على بعضِ الأزرار تداعَت بياناتُ ملفات نظام التشغيل ... تَلَتْها سلسلةٌ لا تنقطع من الرموز الشفرية.

ومن وسط دهشته ... همَّ بالاتصال بهذا «البيرق» وسؤاله عما يراه أمامه ... إلا أنه آثر التروِّي حتى يرى نهاية هذا العرض الممل لهذه الرموز التي لا تنتهي ولا معنًى لها ... وفي غيظٍ مدَّ يدَه ليُغلقَ الكمبيوتر ويُنهي هذه المهزلة ... فاستوقفه مشهدٌ مثيرٌ لمجموعة

من الرجال ترتدي رءوسَ حيوانات كاملة ... وتُطلق على نفسها اسمَ «فهود الصحراء» ... فقد كانت الأقنعة التي يرتدونها على شكلِ رأسِ فهد.

وكان زعيم هذه الجماعة يحمل لافتةً مكتوبًا عليها: «الموت هو الحل»! اندهش «أحمد» لما شاهده ... وأغلق الكمبيوتر والحنق يخنقه ... فها هي الأسطوانة لا تَشِي بشيء ... فهل هذه الفهود هي كلُّ المعلومات التي يريد «البيرق» أن يُوصلَها له ... من المؤكد أن هناك خطأً ما ... نعم وعليه أن يكلِّم الرجل في الفندق مرة أخرى ليعرف منه كيف حدث هذا.

وعندما استدعى رقم تليفون الفندق من ذاكرة المحمول وظهر على شاشته انطلقَت الموسيقى الرقيقة تُعلنه أن هناك مَن يتصل به ... إذن عليه أولًا أن يستقبل هذا الاتصال. وعبثًا حاول معرفةَ رقم الطالب ... فلم يَصِل ... فضغط زرَّ الاستجابة ... ووضع التليفون على أُذُنِه منتظرًا سماعَ صوت طالبه ... فلم يسمع إلا صفيرًا متقطعًا. مرة ثانية شرع في طلب الفندق ... فانطلقَت موسيقى تليفونه من جديد ... فظن أن سببَ ما جرى هو الشبكة، وقام بضغطِ زرِّ الاستقبال في صبر ... فأتاه صوتُ «عثمان» قائلًا: هل ما زلتَ مع «البيرق»؟

أحمد: لا ... أنا في طريقي إلى مقرِّ القيادة ...

عثمان: هل المهمة لم تتحدَّد بعد؟

أحمد: العمليةُ كلُّها ما زالت في علم الغيب ...

عثمان: وماذا كنت تفعل مع «البيرق»؟

أحمد: كان يختبر نوايانا ...

عثمان: وهل اطمأنَّ لنا؟

أحمد: لا أظن ...

عثمان: لماذا؟!

أحمد: لأنه سلَّمني أسطوانة مدمجة بها تفاصيل العملية ... فوجدتُها فارغة ...

عثمان: تقصد أن الأسطوانة الأخرى معه؟!

أحمد: نعم.

فهود الصحراء!

انطلق صوتُ تنبيهٍ سَمِعه كلٌّ من «أحمد» و«عثمان» ... فعرَف أن هناك مَن يطلب «أحمد»، فأغلق «عثمان» تليفونه، وضغط «أحمد» زرًّا فاستقبل المكالمة ... وقد كان «البيرق» فقرَّر ألَّا يُخبرَه بأمر الأسطوانة حتى يعرفَ ما لديه فانطلق «البيرق» يقول: آسف سيد «أحمد»؛ فقد حدث خطأٌ جسيم ...

تظاهر «أحمد» أنه لا يعرف وقال له: أي خطأ سيد «بيرق»؟

البيرق: هناك شريحة كان يجب أن تتسلَّمَها.

أحمد: بماذا تُفيدني هذه الشريحة؟

البيرق: إنَّ عليها حلَّ شفرة الأسطوانة المدمجة.

أحمد: تقصد أن هذه الرموز والإشارات التي رأيتها هي معلومات مشفرة؟

البيرق: حلُّ شفرتها على هذه الشريحة ...

أحمد: هل آتي الآن لآخذَها؟

البيرق: أنا الآن في طريقي إلى «باريس».

أحمد: كيف حدث هذا؟!

تلعثم «البيرق» ... وتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة ثم تلاشى صوتُه وحلَّ بدلًا منه صفيرٌ متقطع دليل على انقطاع الاتصال.

اندهش «أحمد» لما يجري ... وقام بطلب رقم «صفر» ... وقبل أن يُجيبَه ... سَمِع إشاراتٍ على الخط تُعلنه أن هناك مَن يطلبه ... وكان ينتظر اتصال «البيرق» مرة أخرى ... فضغط زرَّ الاستجابة ... فسَمِع «البيرق» يقول له: سيد «أحمد»، لا تقاطعني أرجوك ... أنا الآن أُحادثك من دورة مياه الطائرة ... التي ستُقلع بعد دقائق في طريقها إلى «باريس»، وبالباب يقف رجلان مسلحان بأسلحة بيولوجية لا يمكن لأجهزة أمن المطار اكتشافها ...

وهذا الرجلان من جماعة «فهود الصحراء» المتمردة ... وبالطبع عرفت الآن أني مختطَف ... الشريحة ما زالت لديَّ ... وسأتصل بك مرة أخرى لنتفق على كيفية تسليمها لك.

انقطع الاتصال وكان «أحمد» قد امتطَى الطريقَ الدائري منذ دقائق، واقترب من منزل ميدان «الرماية»، فأطلق العنان للسيارة ... وقام بالاتصال بزملائه في المقر السري ... وطلب منهم الاستعدادَ لعقد اجتماعٍ عاجلٍ بمجرد وصوله ... ولم يكَد يُنهي المكالمة ... حتى كان يدور حول صينية ميدان «الرماية»، ولم يكَد زملاؤه يُعلنون استعدادَهم للاجتماع حتى كان بينهم ... يُلقي عليهم تحيةَ المساء. فعلَّقَت «ريما» قائلة: قُل صباح الخير؛ فنحن الآن في الثالثة من صباح يوم جديد.

اتخذ «أحمد» مقعدَه حول المائدة المستديرة العملاقة ... وانشغل بطلب رقم «صفر» على تليفونه المحمول ... ثم عاد وأغلقه ... وانتبهَ إليهم قائلًا: هناك قرارٌ مهمٌّ وعاجلٌ جدًّا يجب الوصول إليه الآن.

وعنهم جميعًا تحدَّثَت «إلهام» قائلة: نحن نسمعك ...

أحمد: تعرفون «البيرق» طبعًا ...

ريما: ما نعرفه أنه رجلُ أمنٍ مرموق في إحدى الدول العربية.

أحمد: لقد أوفده رئيسُ المجموعة لطلب المساعدة في تأمين حياته؛ حيث إن هناك خطةً تُدبَّر لاغتياله من قِبَل جماعة «فهود الصحراء» ... وهم يقومون بهذه العملية طواعيةً لصالح العمال المطرودين!

إلهام: وهل كلُّ الأجهزة الأمنية في بلده عجزَت عن حمايته حتى يلجأَ لنا؟

أحمد: لقد فقد الثقة في الجميع ... فعملية الاغتيال لها بديل ... وهو إشعال الحرائق في كلِّ مصانع المجموعة، هذا أنَّ مَن لا يشترك سيخسر فرصة عظيمة إذا ما نجحَت هذه المحاولة.

عثمان: بالطبع فرصة عظيمة للحصول على نصيب من الكعكة!

ريما: تقصد منصب!

أحمد: أو أملاك أو غيره! المهم الآن أنني ودَّعت الرجل وتركته حيث يُقيم في فندق «سميراميس» ... فاتصل بي منذ قليل، وأخبرني أن المتمردين اختطفوه ... وأنه يُحادثني من الطائرة التي ستُقلع بعد قليل متجهة إلى «باريس».

إلهام: أشمُّ رائحة عملية جديدة.

بو عمير: لم يَعُد هناك وقتٌ لهذه العملية.

نظر له «أحمد» مستفسرًا ثم قال: ماذا تقصد؟!

بو عمير: أقصد أن عملية تحرير «البيرق» من أيدي المتمردين والقبض عليهم كانت تتطلَّب أن نكون معه على الطائرة كركاب ... أما الآن فليس أمامنا إلا انتظار الطائرة في مطار «شارل ديجول»، والقيام بعملية عسكرية لتخليصه، وهذا سيعرِّضنا لمشاكل جمَّة في المطار ... وسيُسيء للعلاقة بين الدولتين.

أحمد: معك حقٌّ ... ولكن هناك خطة أخرى.

وهنا لم يقوَ «عثمان» على الانتظار، وانطلق يقول: ننتظرهم خارج المطار ونتبعهم حتى نصلَ إلى كل رجالهم في «فرنسا».

ريما: هذا إذا كان لهم في «فرنسا» رجال ...

نظر لها «عثمان» شذرًا ... فتدخَّل «أحمد» قائلًا: ولكن هذا قد يعرِّض الرجل للخطر.

تدخَّل «قيس» قائلًا: يا صديقي العزيز؛ كلُّ عملية لها مخاطرها وضحاياها.

أحمد: لكن هذا الرجل أهم ما في العملية ... لأننا معه سنتمكن من إنقاذ الرئيس وإحباط عملية التدمير.

إلهام: لذلك أرى أن نُنقذه هو أولًا ...

وهنا رفع «أحمد» كلتا يديه وقال لهم: إذن توافقون على القيام بعملية لإنقاذ «البيرق»؟

رفع الجميعُ أيديَهم وقالوا: نعم نوافق!

فقال «أحمد» وهو يضغط على زرٍّ بالمحمول: سأتصل برقم «صفر» لإبلاغه بما وصلنا إليه وأعرف قراره.

في السادسة صباحًا كان كلٌّ من «أحمد» و«بو عمير» و«إلهام» و«زبيدة» قد دخلوا صالةَ السفر رقم واحد في مطار «القاهرة الدولي» ... يحملون جوازات سفر تحوي أسماءً مستعارة. فقد كان اسم «أحمد» المدوَّن في الجواز هو «شوكت الملظ» طالب دراسات عليا في كلية الاقتصاد ... أما «بو عمير» فقد احتفظ باسمه، أما المهنة فكانت أيضًا طالبَ دراسات عليا ومعيدًا في نفس الكلية. أما «إلهام» فقد حملَت اسمَ «ثريا»، و«ريما» اسمَ «داليا»، وهما أيضًا طالبتان في الدراسات العليا في نفس الجامعة، ولكن في كلية الآداب قسم تاريخ.

وقف الزملاء أمام ضابط الجوازات الذي أخذ يقلِّب في جوازات سفرهم، ثم سألهم عن أسمائهم وسبب زيارتهم «فرنسا».

وقد كانت إجابتُهم جميعًا هي زيارة جامعة «السوربون» لغرضٍ بحثيٍّ صرف.

وضع الضابط الأختامَ فوق الجوازات وأعادها لهم ... فسألوه عن الأبواب المخصصة لركاب الطائرة «فرنسا» وبعد أن دلَّهم عليها ... عادوا فاتخذوا مقاعدَ في قاعة الانتظار

... وظلوا جالسين حتى نُوديَ على ركاب الطائرة المسافرة إلى «فرنسا» في تمام الساعة السادسة والنصف ... فغادروا الصالة وتوجَّهوا إلى الطائرة.

ما إن صَعِد الشياطين إلى الطائرة ... حتى قادَتهم مضيفةٌ حسناء إلى مقاعدهم، وكانوا يتصرَّفون وكأنهم يُسافرون لأول مرة ... لماذا؟

أولًا: لأن العمليةَ التي يتصدُّون لها هي عمليةُ قلبِ تفجيرٍ شامل في أكثر من مكان ... أي من الممكن أن يكون لهؤلاء المتمردين عملاء في كلِّ دول العالم ... وعليهم أن يكونوا بعيدين تمامًا عن دائرة الشك.

ثانيًا: هذه المقابلة التي تمَّت بين «البيرق» و«أحمد» في فندق «سميراميس» ... والأخطر أن اختطافَ «البيرق» تم بعد هذه المقابلة بقليل.

أخيرًا دارَت محركاتُ الطائرة ... وربط الجميعُ أحزمتَهم عدا «أحمد» الذي مثَّل أن عملية ربط الحزام سبَّبَت له مشكلةً عويصة ... أنقذَته منها المضيفة الحسناء ... فقد أمسكَت بالحزام وقالت له أثناءَ اقترابِ فمِها من أُذُنِه: رقم «صفر» على الطائرة ... انتفض «أحمد» ليقف ... فمنعه الحزام من الحركة ... فأمسك بيدِ المضيفة التي لم تكن قد ابتعدَت بعدُ ... وجذبها فانحنَت تُعطيه أُذُنَها ... فقال لها: أين هو؟!

فهزَّت رأسَها نافيةً وقالت له: أنا لا أعرفه ...

أحمد: وكيف عرفت أنه هنا؟!

المضيفة: من إدارة المنظمة.

أحمد: وهل هناك عملاء غيرك على الطائرة؟

المضيفة: نعم ... ولكنني المكلَّفة بالاتصال بكم.

استوَت الطائرة في السماء ... وفكَّ الجميعُ أحزمتَهم ... ووجدها «أحمد» فرصةً ليبحثَ عن رقم «صفر» وهو يعرف أنه سيحصل عليه ... فهو رجلٌ غيرُ عادي ... وسيكون مختلفًا كثيرًا عمَّن حوله ... بل ومميزًا ... غير أن المضيفة انحنَت عليه وأسرَّت له ببعض الكلمات لَزِم بعدها مقعدَه ولم يغادره ... فماذا قالت له؟!

لقد مال «بو عمير» عليه، وسأله نفسَ السؤال ... فقال له: غير مسموح لنا بمغادرة مقاعدنا ...

نظر له «بو عمير» مندهشًا للحظات ثم قال له: أوامر مَن هذه؟!

كان صوتُه عاليًا حين سأل هذا السؤال ... فنبَّهه «أحمد» لذلك بإشارة من يده وقال له: أوامر المنظمة ...

بو عمير: ومن الذي أخبرك بهذا؟ هل هذه المضيفة هي ...؟!

أحمد: نعم ... هذه المضيفة عميلة للمنظمة، وهناك غيرها على الطائرة.

بو عمير: وهل هم في مهمة رسمية مع رقم «صفر» ... أم معنا؟

أحمد: لا أعلم ...

بو عمير: فلتتصل برقم «صفر» وستعرف أين يجلس حين يحادثك.

قال له «أحمد» في حسم: هل تعرف الأوامر؟

بو عمير: نعم.

أحمد: إذن فلتنسَ هذا الموضوع.

كانت القهوة الفرنسية التي طلبها «أحمد» قد تأخَّرت ... فنبَّه المضيفة إلى ذلك ... فقال لها «بو عمير»: هل هناك قهوة تكفي لاثنين؟

ضحكَت المضيفة في رقَّة، وقالت: هناك قهوة تكفي لأربعة.

فهمَت «إلهام» مقصدها ... فقالت لـ «ريما»: هذه القهوة لنا من رقم «صفر».

انتاب الشياطين مشاعرُ رائعةٌ بتحيةِ رقم «صفر» وقهوته التي أرسلها لهم وقد ظلَّت مثارَ حديثهم حتى وَطِئَت أقدامُهم أرضَ مطار «شارل ديجول»، وهناك شعروا بالجو المتوتر الذي يسود المطار وبتلك النظرات المتشككة التي تُصوَّب إلى كل صاحب بشرة سمراء أيًّا ما كانت جنسيته ...

فأنهَوا إجراءاتِ الوصول ... وغادروا المطار مسرعين ... وكان في انتظارهم أحدُ عملائهم هناك، إنه مسيو «رينيه» الذي حيَّاهم بحرارة ... وحمل عن «إلهام» و«ريما» حقيبتهما ... ثم اصطحبهم إلى سيارته ... وحملهم بها بعيدًا عن المطار ... وبجوار رصيف أحد المتنزهات توقَّف والتفت إليهم يقول: الإشارات وصلَت ...

أحمد: متى؟

رينيه: منذ ساعتين تقريبًا.

أحمد: وهل هناك متابعة؟

رينيه: منذ اتصال رقم «صفر» ... وخلية المنظمة هنا لم تهدأ ...

أحمد: وهل رأيتم النجم معهم؟

رينيه: نعم ... ولم نتدخل ... كما طلب الزعيم ... فَهِم الشياطين أن الإشارات تعني المتمردين وأن النجم هو «البيرق».

الاختطاف البيولوجي!

لم يكن «رينيه» يعلم حتى الآن ماذا جرى «للبيرق» ولا لخاطفيه، كلُّ ما يعرفه أنهم مرُّوا بسلام من المطار، وأنهم الآن متابَعون سرًّا من عملاء المنظمة ... ولم يرضَ «أحمد» عن هذه الأخبار ... فهو يريد أن يعرف تفاصيل أكثر ... فقد رأى المطار يعجُّ برجال الأمن ... ولكنه رأى أحد عملاء المنظمة ... وبعض رجال المخابرات الفرنسية، وكان هناك تعاونٌ أمنيٌّ يجري لصالح «البيرق» ... غير أنه سَمِع من «رينيه» ما يخالف ذلك ... فقد قال له: إن الأوروبيِّين غيرُ راضين عمَّا قام به رئيس المجموعة ...

أحمد: تقصد أن ما رأيناه قد لا يكون تعاونًا بينهم؟!

فقال: «رينيه» مصحِّحًا: بل مَن رأيتموهم ليسوا من رجال حكومة «البيرق».

أحمد: تقصد أنهم من أعوان المتمردين؟!

فابتسم «رينيه»، وقال ساخرًا: أو المعارضين لنظام الرئيس الجديد للمجموعة ...

أحمد: ولكن لا أظن أن «فرنسا» ستتدخل لتغيير الرئيس أو النظام هناك ... فالفرنسيون يحترمون حقَّ أصحاب الأموال في تقرير ما يرونه صائبًا، ويؤمنون بعدم التدخل في الشئون الداخلية للشركات.

رينيه: أنا لم أقصد هذا ... ولكن هل تستطيع أن تُخبرني أين «البيرق» الآن؟

وقبل أن يُجيبَه «أحمد» تلقَّى على تليفونه المحمول اتصالًا ... أشرق وجهُه معه، وما إن أغلق التليفون حتى التفت إليهم قائلًا: ظهر «البيرق» ...

بو عمير: تقصد ظهر الحق ...

ابتسم «أحمد» وقال يسأله: «رينيه»، أين هو؟

رينيه: في مطار «أوروبا» بصحبة بعض الرجال من بلده ...

أحمد: يجب أن نعطلَهم حتى نعرف وجهتَهم ... ونتمكن من الحصول على التأشيرات اللازمة لنلحق بهم.

في هذه اللحظة رنَّ تليفونه المحمول ... وكان على الخط معه رقم «صفر» الذي قال له: أين أنتم يا «أحمد»؟

أحمد: نحن في سيارة مسيو «رينيه».

رقم «صفر»: «البيرق» في الطريق إلى «دكار».

أحمد: ولماذا «دكار» يا زعيم؟!

رقم «صفر»: إنها معقل جماعة المتضررين من القرارات الأخيرة للمجموعة.

أحمد: وهل لا يمكنكم القبض عليهم في المطار الآن؟

رقم «صفر»: ليس هناك تهمةٌ واضحة ... أما عن اختطاف «البيرق» ... فلا يمكننا المساس بهم وهو معهم وإلا تعرَّض للقتل بالأسلحة البيولوجية.

أحمد: وكيف سكتَت مخابرات بلده على عملية اختطافه؟!

رقم «صفر»: ومَن قال لكم إنهم سكتوا ... فمطار «شارل ديجول» يعجُّ برجالهم ... ولكنهم أيضًا خائفون من الأسلحة البيولوجية.

أحمد: وما خطتنا إذن؟

رقم «صفر»: خطتنا هي مطاردتهم حتى نَصِل إلى الرأس المدبر لكل هذا ...

أحمد: وهل عرفتموه؟

رقم «صفر»: نعم ... ولكن القضية الآن هي كيفية الوصول له ...

أحمد: أي أننا إذا ضربنا الرأس مات الجسد؟

رقم «صفر»: نعم ... سنَئِد هذا التمرد في مهده بضرب قيادته.

كان الشياطين يتابعون الحوار الذي يجري بين «أحمد» والزعيم ... ويحاولون استخلاص معلومات منه يقفون بها على بعض الأخبار ... ولم تتركه «إلهام» يُنهي حواره قبل أن تُشيرَ له إشارةً فَهِم منها ما تريده ... فقال لرقم «صفر»: ألن نركبَ معهم طائرتهم إلى «دكار»؟

رقم «صفر»: بالطبع.

أحمد: وكيف سنحصل على التأشيرات؟

رقم «صفر»: سيقوم «رينيه» بهذه المهمة.

أحمد: وهل سنلحق بهم؟

رقم «صفر»: لن تسافر الطائرة إلا وأنتم عليها ... فقط أعطني «رينيه».

مدَّ «أحمد» يدَه بالمحمول إلى «رينيه» الذي حيَّا رقم «صفر» ... ثم علَّق عينَيه في سقف السيارة لثوانٍ وهو يستمع إليه ... ولم ينطق إلا قائلًا: أمرك يا فندم ...

ثم أعاد التليفون لـ «أحمد» واستدار إلى عجلة القيادة ... وانطلق بهم فجأة ... وبعد أن خرج من المنظمة قال لهم: أعطوني جوازات سفركم.

مدَّ «أحمد» يدَه إلى زملائه فحصل منهم على جوازات سفرهم ثم ناولها لـ «رينيه» وقال له: هل سنذهب إلى سفارة «السنغال»؟

قال «رينيه» في اقتضاب وحسم: لا، بل سأذهب وحدي ...

إلهام: هل هذه أوامر؟

رينيه: نعم.

غادر الشياطين سيارة «رينيه»، واستقلوا تاكسيًا إلى مطار «أورلي» ... وهناك جلسوا في كافيتريا المطار ينتظرون «رينيه»، وكان «أحمد» يبدو مهمومًا وفي عينَيه أسئلة كثيرة ... فقالت له «إلهام»: فيمَ تفكِّر يا «أحمد»؟

نظر لها «أحمد» مليًّا ثم قال: ألم نَصِل اليوم إلى «فرنسا»؟

إلهام: نعم!

أحمد: إذن كيف نسافر في نفس اليوم؟

بو عمير: تقصد أن هذا سيكون ملفتًا للنظر؟

أحمد: نعم!

ريما: وهل تظن أن رقم «صفر» لم يفكر في هذا؟!

نظر لها «أحمد» في حيرة وقال: لا أعرف يا «ريما» ... وليتَني أعرف!

كان المطار مزدحمًا ... وبه الكثيرُ من الأفارقة ذوي البشرة الداكنة ... ودار بخلد «أحمد» أنه من الممكن أن يكون بينهم عملاء لحكومة المعارضة ... أليس مقرُّهم في السنغال؟

وفجأة ساد المطارَ الهرجُ ... وازدحم بالركاب من كلِّ مكان ... غير أن الشياطين رأَوهم يتحركون إلى خارج الفندق لا إلى داخله. فداخلَتهم الدهشة ... وازدادَت دهشتُهم حينما رأوا رجالًا من القوات الخاصة يحملون العصِيَّ والدروعَ يدفعون الناس دفعًا إلى خارج المطار!

وعن بُعدٍ ... وعلى مهبطِ الطائرات رأوا سيارة جيب تقترب من إحدى الطائرات «الشارتر» ثم تقف بجوار السلم الواقف بجوارها ... وينزل منها رجلٌ، وصاحوا جميعًا في دهشة قائلين في صوتٍ منخفض عندما رأوه: إنه «البيرق»!

صَعِد «البيرق» سلَّمَ الطائرة ... وأمامه رجلٌ ضخم يُمسك بآلةٍ تُشبه التليفون المحمول، ومن خلفه ... أيضًا كان يصعد أربعة رجال يُمسكون بنفس الآلة، فعلَّق «أحمد» قائلًا: هذه الآلات هي منصات إطلاق لإبر ملوثة بفيروسات قاتلة. و«البيرق» الآن في موقف لا يُحسد عليه ...

كان «البيرق» يصعد متثاقلًا ويبدو على خطواته الإجهاد الشديد.

وما إن بلغ نهايةَ السلَّمِ ووضع قدمَه بداخل الطائرة ... حتى تحرَّك السلَّمُ مبتعدًا ... وتصايح الرجال الصاعدون عليه خلف «البيرق» في فزع ... فقد أخذَتهم المفاجأة واندفعَت السيارة الحاملة للسلم بقوة أفقدَت هؤلاء الرجال توازنَهم ... فسقطوا على الأرض ... وعلَا صوتُ ارتطامهم قبل صوت صراخهم ... ومن أكثر من اتجاه هرع رجال الأمن يُحيطون بهم ...

وفجأة ... أغلق باب الطائرة ودارَت المحركات وعلَا هديرُها ... ثم ارتفع صوتُ صفيرٍ حادٍّ يصمُّ الآذان ... بعده سارَت الطائرةُ وسطَ دهشةِ الجميع ... وقبل أن يتمكن أحدٌ من عرقلتها، ارتفعَت مقدمتُها لأعلى في زاوية تعلَّقَت عليها الطائرة وطارَت تحمل «البيرق» والرجل الذي يختطفه ... وطاقم الطائرة ... ومن وسط ذهولها قالت «إلهام»: إلى أين يا رجل؟!

فأجابها «أحمد» في هدوء قائلًا: إلى «دكار» بالطبع.

اعترض «بو عمير» وقال مستنكرًا: لقد أصبح وحيدًا والقبض عليه في «السنغال» سيكون سهلًا.

أحمد: لا أفهم ما تقصده ...

بو عمير: أقصد أن ما قلته سيكون سببًا لتغيير وجهته.

وفجأة علَت صرختان في السماء، فقالت «ريما»: هناك طائرتان ميراج تطاردان الطائرة ... فشعر «أحمد» بالجزع، وقام بالاتصال برقم «صفر»، وقال له: هل عرفت ما يدور؟

رقم «صفر»: إنهم يطاردون الطائرة.

أحمد: إن هذا الرجل بحوزته أسلحة خطيرة ... وقد يقتل الجميع في لحظة يأس!

رقم «صفر»: إنهم لن يتعرَّضوا له ...

أحمد: ولماذا إذن يطاردونه؟!

رقم «صفر» سيُجبرونه فقط على الهبوط في مكان آمن ومعروف.

دارَت الطائرة دورتَين في السماء ... ثم عادت وطلبَت الإذن بالهبوط في مطار «أورلي» ... فلم يسمح لها المسئولون بذلك، وطلبوا من قائدهم التوجُّهَ إلى مهبط طوارئ يقع بالقرب من الحدود السويسرية ... وعندما عرَف المختطف بذلك جنَّ جنونه، وأخذ يصرخ قائلًا: إنهم يفرضون إرادتهم علينا ... إنهم لا يعرفون حدودَ قوتي ... وسأُريهم ذلك الآن ...

رأى «البيرق» نظراتٍ مجنونةً تتقافز من عينَي الرجل ... فخاف على مَن بها ... وقام بتهدئته قائلًا: لا تُعرْهم انتباهك وأخبرني أنا بما تريد.

صرخ الرجل في جنون قائلًا: أنا لا يهمُّني مَن بالطائرة ... ولا الطائرة ... وسأقتل الجميع وأنا معهم.

ومدَّ يدَه فأمسك بكتف «البيرق» وقال له: وستموت أنت أيضًا.

البيرق: وماذا تريد حتى لا يحدثَ كلُّ هذا؟!

الرجل: أن نتوجَّه إلى «السنغال» دون اعتراض هذه الطائرة.

أبلغ «البيرق» قائد الطائرة بهذا ... فقام الرجل بالاتصال ببرج مراقبة المطار ... وطلب منهم عدمَ اعتراضه والسماح له بالخروج من الأجواء الفرنسية، ولم يكن هذا قرارَ فردٍ حتى يمكنَهم الوصول فيه إلى ردٍّ سريع ... وهذا ما قاله له «البيرق» حين رآه في قمة التوتر ... غير أنه لم يقتنع وصرخ فيه قائلًا: إن الوقت يمرُّ والوقود ينفد وسنجد أنفسنا في النهاية نلجأ للحلِّ الذي اقترحوه.

البيرق: أي حل؟

الرجل: ألم يقترحوا علينا النزول في مهبط الطوارئ على الحدود السويسرية؟

حاول «البيرق» استدراجَه إلى حلٍّ وسط ... فقال له: أنا لا أرى أنها فكرة لا بأس بها ...

وفي حنق قال الرجل: كيف؟

البيرق: يمكننا من هناك التحرك بريًّا.

وفي تهكُّم سأله قائلًا: كيف؟ ... سيرًا على الأقدام؟!

البيرق: اطلب منهم سيارة مصفحة وبها ما يكفي من الوقود.

الاتفاق الخطير!

كما طلب قائد الطائرة وقتًا للرجوع إلى رؤسائه في اتخاذ قرار الخروج من «فرنسا» ... طلب خاطف الطائرة من «البيرق» إمهالَه بعضَ الوقت للرجوع إلى رؤسائه في قرار النزول على مهبط الطوارئ على الحدود السويسرية.

وقد كان النقاش حادًّا أثناء اتصاله بهم عن طريق تليفون الطائرة ... وفجأة توقَّف عن إكمال جملة ابتلع نصفها ... ويبدو أنهم أغلقوا الخط دون رغبته ... فالتفت ينظر إليهم مليًّا وكأنه يتأملهم ... ثم قال لـ «البيرق»: إنهم يطلبون مني إسقاطَ الطائرة ...

بدَا الانزعاج واضحًا على وجه «البيرق»، وغادر كابينة القيادة في خطوات تَشِي بالغضب ومن خلفه هرول الرجل الخاطف محاولًا اللحاقَ به وهو يقول: يا سيد «بيرق»، اسمعني ... إنهم يضحُّون بي ...

ووجدها «البيرق» فرصةً للوصول إلى عقل هذا الرجل، فقال له: ولماذا تُطاوعهم؟

الرجل: إن لي أبناءً وزوجة هناك سيتعرَّضون لهم ...

البيرق: لا تخشَ شيئًا ... سيعرف الجميع خبرَ سقوط الطائرة.

الرجل: دون إسقاطها؟!

البيرق: بالطبع يا رجل.

بدَت على الخاطف علاماتُ الاستسلام ... فوجدها «البيرق» فرصةً ذهبية للاستفادة منه في الوصول إلى معلومات مهمة ومحددة عن حركة التمرد وقياداتها ومداها وعلاقتها بالعمال المسرَّحين الهاربين خارج البلاد ... غير أن الرجل بدَا عليه الانزعاج وقال معترضًا: دَعْنا نُنهي الموقف عند هذا الاتفاق.

البيرق: أي اتفاق؟!

الرجل: تُعطوني مظلَّة وتسمحون لي بالقفز من الطائرة في منطقة آمنة.

البيرق: ولماذا تهرب؟

الرجل: سأُحاكَم بتهمة اختطاف طائرة.

البيرق: سأساعدك في هذا ... ولكن لي طلب.

فقال «شهيب» وكان هذا اسمه: إن كانت هناك شروط فأنا الذي يُمليها لا أنت.

البيرق: إنها ليست شروطًا ... لقد قلت إنه طلب شخصي.

نظر له «شهيب» متفحصًا ... ثم ارتد للوراء خطوتَين وجلس على الكرسي الذي اصطدم به، وقال: هاتِ ما عندك ...

البيرق: نتعاون.

قاطعه «شهيب» في حسمٍ قائلًا: لقد رفضتُ هذا العرض من قبل.

البيرق: وأين ستذهب أنت؟

شهيب: لا شأنَ لك بي ... فقط ساعِدْني على الهروب.

البيرق: سأرى ما يمكنني عمله.

لم تُعجِب هذه الجملة «شهيب»، فصاح قائلًا: ليس لكم خيارٌ آخر ... فإما أن تتركوني أعيش وتعيشون ... وإما نموت سويًّا.

استسلم «البيرق» بعد أن أعيَته الحِيَل وقال له: أوافق يا «شهيب» ...

نظر له «شهيب» بارتيابٍ ... فعاد «البيرق» يؤكِّد له صدْقَ وعدِه قائلًا: لقد وعدتُكَ يا «شهيب» وسأَفِي بوعدي.

وهنا قال له «شهيب» متسائلًا: أنا وحدي ... وأنتم ستة رجال ... لماذا لم تتخلصوا مني؟!

البيرق: إنك تملك السلاح.

شهيب: ألَا يحمل أحدُكم سلاحًا؟!

البيرق: ممنوع حمل السلاح هنا.

شهيب: ورجل الأمن ...

البيرق: لم يركب معنا مثله مثل الآخرين ...

ولم يجد «شهيب» غضاضةً من ترك «البيرق» يذهب وحدَه إلى كابينة القيادة، وجلس ينتظره دون توتُّر ... إنه يخاف من شيء ... لقد دخل اليأسُ قلبَه بعد أن ضجَّت به الحركة.

ومن بعيد أتاه استفهامٌ حائر ... لماذا لا ينضمُّ للبيرق؟ ممَّ يخاف؟ أن يعاقبوه على ما فعل؟ إنه لم يفعل شيئًا ... لقد قتلوا زملاءَه جميعهم ... وكان هو الأمهر ... واختطف

الطائرة ولديه سلاحٌ خطير ومعه وزيرٌ مهمٌّ كان يمكنه مقايضتهم عليه ... وعلى ثمن الطائرة ومَن عليها ...

وتوقَّف عند هذه الفكرة الشيطانية؛ فقد راقت له ... وقرَّر أن يطلب منهم مبلغًا من المال ... بل ثروة لكي يتركَ هذه الطائرة تعود سالمة ... غير أنه عندما عاد «البيرق» قال له: ما رأيك سنطير سويًّا؟

وفي جزعٍ سأله «البيرق» قائلًا: إلى أين ... نطير إلى أين وكيف؟

شهيب: إلى أرض آمنة ... أما كيف هذه فليست مشكلة ... بدلًا من أن تُحضر لي مظلة ... أُحضر أنا مظلَّتَين. وفي رفضٍ قاطعٍ أيًّا ما كانت النتائج قال «البيرق»: إن أردتَ القفز فاقفز وحدك ... وإن أردتَ مصاحبتي فابقَ معي حتى ننزلَ في أحد مطارات «فرنسا».

وفي برود عجيب تحدَّث «شهيب» قائلًا: أنا وافقتُ على أن أُصاحبَك ... بل أصبحتُ أتمنَّى ذلك ... وسأنضمُّ إليكم لحماية الرئيس، فلماذا لا تقفز معي؟!

البيرق: لأن لا عمري ولا تجربتي ولا حالتي الصحية تسمح بذلك.

شهيب: لن يكون الأمر صعبًا وسترى.

البيرق: اتخذ قرارك الآن إما أن تقفزَ أو ترى حلًّا آخر ...

شهيب: هناك طائرتان «ميراج» سوف تصطادني إحداهما وأنا في طريقي إلى الأرض ... لكن وأنت معي لن يحدث هذا.

شعر «البيرق» بكثيرٍ من الصدق في كلام «شهيب» ورأى أن الذهاب معه قد يكون فكرة جيدة ويؤدي إلى نتائج مرجوة ...

وشعر «شهيب» أنه نال رضاءَ «البيرق»، فأخذ يُعدِّد له فوائدَ هذا القرار، غير أن «البيرق» لم يكن مستعدًّا لذلك ... فتركه وذهب إلى كابينة القيادة ليُبلغَهم بقراره ... فأخبره قائد الطائرة باتصال «أحمد» به، وأنه ينتظر منه اتصالًا ... وكم كان سعيدًا عندما سمع هذا الخبر ... وكم كان «أحمد» سعيدًا أيضًا عندما تلقَّى اتصاله ... فضغط زرَّ الاستجابة في تليفونه المحمول، وقال: خبرٌ رائع أنك ما زلتَ بخير ...

ضحك «البيرق» قائلًا: هكذا أنا دائمًا ...

ضحك «البيرق» لهذه الدعابة وأكمل كلامه قائلًا: لقد وصلتُ لتوِّي إلى اتفاق جيد مع آخر المختطفين.

أحمد: تقصد الذي استطاع أن ينجوَ منهم.

البيرق: لقد عرفت أن اسمه «شهيب» ... وقد أبدى استعداده للتعاون معنا.

أحمد: قال هذا خوفًا من الطائرتَين «الميراج».

البيرق: لا ... بل لأن الجماعة ضحَّت به وطلبوا منه إسقاط الطائرة وهو بها.

أحمد: هل يعني هذا أنه وافق على الرجوع إلى مطار «أورلي»؟

البيرق: لا ... هو يريد الهبوط بواسطة المظلة في مكان آمن على أن أكون بصحبته.

أحمد: وهل وافقت؟

البيرق: إنه يخاف من القبض عليه ومحاكمته بتُهَم كثيرة ... منها اختطاف الطائرة ...

أحمد: وهل ستحميه؟

البيرق: سأستفيد منه في الوصول إلى رأس المتمردين؟

أحمد: هل يعرفه؟!

البيرق: إنه يقول هذا.

أحمد: إذن حدِّد موقع الهبوط وسنكون معكم.

عندما عاد «أحمد» إلى زملائه أخبرهم بالاتفاق الذي عقده معه «البيرق»، وجدوا أنها فكرة جيدة ... على أن يحددوا موقع الهبوط بما يُفيدهم في التحرك لاستكمال العملية.

ولكن «أحمد» رأى أن يترك لهم ذلك ... إلا إذا بدَا لهما ما هو أفضل.

بالاتصال بـ «البيرق» اكتملَت أركان الاتفاق ...

ولم يبقَ غيرُ إبلاغ «شهيب» بالموافقة على خطته مع تعديل بسيط وهو انضمامُ الشياطين لهم ...

اعترض «شهيب» بشدة ... وهاج وماج ... وطلب إنهاءَ كلِّ شئون العودة إلى الاتفاق القديم ... والخروج من «فرنسا» والذهاب إلى «دكار»، ولأول مرة منذ بدء الحوار بينهم ... يحتد عليه «البيرق» ويقول له في حسم: نحن الآن في الهواء ... ووقود هذه الطائرة لن يُبقيَنا في الهواء طيلةَ اليوم وعليك اتخاذ قرار عاقل فورًا.

وشردَت عينَا «شهيب» وانفتحتَا عن آخرهما ... ثم برقتَا وابتسم بعدها ابتسامةً ماكرة حرَّكَت مشاعر القلق عند «البيرق»، فقال يسأله: فيمَ تفكِّر؟

شهيب: أفكِّر في قبول عرضك ...

وفي حذرٍ استقبل «البيرق» قرارَه ... بالذات بعد هذه الابتسامة الماكرة وقال له: نِعْمَ القرار ...

وكان لـ «شهيب» شروطٌ ... وكانت هي سببَ هذه الابتسامة ... فقال له: ولكن لي شروط.

البيرق: أسمعها أولًا.

شهيب: سأختار أنا موقع الهبوط.

البيرق: لقد تحدَّثنا في هذا من قبل ... وقلت لك يجب أن تكون أرضًا آمنة.

ابتسم «شهيب» ابتسامتَه الماكرة مرة أخرى وقال له: هي لن تكون أرضًا.

شعر «البيرق» أن في الأمر خدعةً ... ولم يَعُد لديه مزيدٌ من الصبر على خِدَع هذا الرجل، فقال له: هاتِ ما عندك كله مرة واحدة ... فهذا آخر ما بيني وبينك.

شعر «شهيب» بنفاد صبر «البيرق»، فقال يطمئنه: إنه مكان سيروقك كثيرًا وهو في خدمةِ مهمَّتِنا.

فقال «البيرق» له في استخفاف: وأين هو هذا المكان؟!

شهيب: في عرض البحر.

علا صوتُ «البيرق» وقال في حدة: هل سنعوم إلى الشاطئ الأفريقي يا «شهيب»؟!

شهيب: نعم ... وهذا أفضل لنا.

شعر «البيرق» أنه أساء فهْمَ الرجل ... وأنه تعجَّل في الحكم عليه، فقال له: بالطبع بواسطة لنش أو مركب صيد؟

شهيب: بالسفينة.

مرة أخرى شعر «البيرق» بالخطر، وقال له: اختطاف مرة أخرى يا «شهيب»؟!

شهيب: يا سيادة الوزير لن يكون هناك اختطاف ... إنها سفينة أستأجرها للمنظمة للقيام بعمليات خاصة.

البيرق: ولكنك بالنسبة للمنظمة ميت!

شهيب: ولكن أصحاب السفينة لا يعرفون ...

رأى «البيرق» أنها فكرة جيدة ... وأن عليه أن يوافق عليها ... غير أنه عندما أخبر بها «أحمد» قال له: إنه اختطاف آخر ... هم فقط ينقلونك من الطائرة إلى السفينة ... والسفينة وسط رجالهم وبهذا تكون خطتهم قد نجحَت ...

الهبوط بالمظلات!

برغم تحفُّظات «أحمد» على الاتفاق الأخير بين «البيرق» و«شهيب» وافق على النزول فوق السفينة ... وبرغم سعادة «البيرق» بهذا ... إلا أنه كان قلقًا للغاية مما قاله له «أحمد»، فعاد إلى «شهيب» وقال له: لقد وافق الجميع على اقتراحك يا «شهيب» ... ولكنهم يشكُّون في أنها خطةٌ جديدة لاختطافي مرة أخرى.

شهيب: ولكنك موافق؟

نظر له «البيرق» طويلًا قبل أن يقول له: أوافق يا «شهيب».

ابتسم «شهيب» في زهوٍ واستعلاء ... وأخرج من جيبه قلمًا أو ما يُشبه القلم وأخذ يضغط على بعضِ أزراره ... وفي أُذُنَيه وضَع سماعة دقيقة ... وانتظر لدقائق بدَت لـ «البيرق» طويلة ...

مرة أخرى ضغط الأزرار وانتظر ... ثم حانَت منه التفاتة إلى «البيرق»... فرآه ينظر إليه في قلق ... فابتسم في دهاء وقال له: إني أدبِّر لك مقلبًا إلكترونيًّا مذهلًا ...

ابتسم «البيرق» ابتسامةَ استسلام ...

فضحك «شهيب» وقال له ساخرًا: أريدك هكذا مبتسمًا دائمًا ... حتى أُنهيَ مهمتي ... أجمل شيء أن تموت وأنت مبتسم!

لم يكن لدى «البيرق» حيلةٌ أخرى غير الانتظار، فقال له: أعطيتُك حياتي وتُدبِّر لموتي؟!

صاح «شهيب» معترضًا ومستنكرًا بقوله: لا ... لا ... لا تَقُل إنك أعطيتني شيئًا، الله هو الذي أعطاني الحياة، وكان بإمكاني أن أقتلَك ... فاتفقتُ معك وعفوتُ عنك إلى حين.

ضحك «البيرق» وهو يقول له: إلى حين ... أي أنك حقًّا تُدبِّر لموتي؟!

ابتسم «شهيب» ابتسامتَه الماكرة ... ونظر له بطرف عينَيه ولم يُجِب.

فأكمل «البيرق» قائلًا: ومعنى ذلك سأستمرُّ معك إلى النهاية.

أصدر القلمُ صفيرًا حادًّا متقطعًا أثار أعصاب «شهيب» ... فجعل يضغط أزراره في توتُّر ملحوظ ... ولاحظ «البيرق» ذلك، فقال له: هل هناك مشكلة؟!

شهيب: إنهم يطلبون مائتَي ألف دولار ثمنًا للعملية.

نظر له «البيرق» غيرَ مصدق ... مما أثار أعصابه ... فصاح في حنقٍ قائلًا: إنها سفينتهم ومصدر رزقهم.

البيرق: ولكني الآن ليس لديَّ مائتا ألف دولار.

وبأسلوب التاجر قال له: كم معك من المبلغ؟

البيرق: عدة آلاف ... ولكنها لا تَصِل إلى عشرين ألفًا.

نظر له «شهيب» نظرةً ذاتَ مغزًى وكأنه تذكَّر منصبَه، فقال له: ألستَ عميلَهم؟

البيرق: ماذا تعني؟

شهيب: اكتب لي شيكًا.

البيرق: وهل سيقبلونه؟

شهيب: سأُعطيهم ما معك من دولارات ... وستعدني بدفع الباقي عندما نَصِل.

البيرق: أَعِدُك من الآن.

شهيب: إذن أنت تُوافق على المائتي ألف دولار؟

البيرق: أوافق على أن يكونوا تحت إمرتنا.

شهيب: سأُبلغهم بذلك.

وقام «شهيب» بفتح جهاز إرساله ووضع السماعة الصغيرة في أُذُنِه ... وأجرى اتصالَه في عجلة.

ولم تمضِ إلا دقائق عندما تلقَّى اتصالًا منهم عبر قلمه ... ردَّا على اتصاله بهم، ورفع رأسه بعدها متهللًا ... وقال لـ «البيرق»: السفينة سوف تُرسل إشارات ... أرجو من قائد الطائرة تتبُّعَها ... إنها الآن قريبة من السواحل الفرنسية ... غير أنها خارجُ المياه الإقليمية لـ «فرنسا»، أي أنها في المياه الدولية.

البيرق: وما المطلوب منا؟

شهيب: تتبُّع الإشارات الإلكترونية هذه لنَصِل إلى موقع السفينة.

وهنا رأى «البيرق» أن وجودَ «شهيب» في كابينة القيادة مهمٌّ للغاية ... فصحبه إلى هناك وقام بالاتصال بـ «أحمد»، وطلب منه أن يظلوا على اتصال بهم ... لمعرفة موقع

السفينة، وأخبره في نبأٍ قصير أمْرَ المائتي ألف دولار الأجر المطلوب لتنفيذ العملية؛ فطمأَنَّ هذا الخبر «أحمد» إلى أن العملية لن يكونَ بها خيانة ... ما داموا سيحصلون على أجرهم كاملًا ...

تتبَّع قائد الطائرة الإشارات المرسلة من قيادة السفينة ... إلى أن لاحَت عن بُعد سفينة من الطراز العتيق الذي بُنيَ أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد كانوا يهتمُّون وقتَها بالمتانة أكثر مما يلتفتون للشكل ... لذا فقد بدَت السفينة صلبةً وكأنها منحوتة من جبل من الحديد.

كانت الطائرتان «الميراج» قد ابتعدتَا بناء على طلب «البيرق» وموافقة القيادة العسكرية الفرنسية.

فظهرَت الطائرة «الشارتر» وحدَها في سماء المنطقة تقترب حثيثًا من السفينة ... التي أطلق بحَّارتُها الخراطيشَ بمجرد أن رأَوها.

هلَّل «شهيب» عندما رأى السفينة ... وتأكَّد من غلق حزام المظلة جيدًا ... وكذلك «البيرق».

وما إن أصبحَت الطائرة فوق السفينة تمامًا ... انفتح بابُ الطوارئ فدخل تيارٌ خارق من الهواء. كاد يطيح بـ «شهيب» وبـ «البيرق» اللذَين وقفَا على حافته ينظرون في خوف إلى سطح المياه تحتهم وهم يُحلِّقون فوقها ... في ارتفاع شاهق.

صاح «شهيب» في «البيرق» الذي كان يقف أمامه، وقال له: اقفز ...

وتردَّد «البيرق» ... ولم ينفذ أمر «شهيب» ... وكأنه لم يسمعه ... فناداه مرة أخرى، ثم صرخ فيه قائلًا: اقفز وإلا تسبَّبتَ في سقوط الطائرة.

ابتعدَت الطائرة عن سماء السفينة لمسافة ثم دارَت حول نفسها ... وعادَت مرة أخرى لتُحلِّق فوق السفينة ... و«شهيب» يصيح في غضب قائلًا: لماذا لا تقفز يا رجل ... ماذا تنتظر ...

وبصعوبةٍ تحدَّث «البيرق» قائلًا والهواء يدخل فمَه وفتحات أنفه: لماذا لا تقفز أمامي لتُشجِّعَني؟

التهبَت أعصابُ «شهيب» ... وتقافز على أرضية الطائرة وهو يصيح قائلًا: هل تظنني كنت ضابطَ مظلات ... إنني أول مرة أتعرَّض لهذا الموقف في هذه الأثناء ... كانت الطائرة المقلَّة للشياطين تحلِّق في المكان ... انتظارًا لابتعاد «الشارتر» ... فعلَّق قائدها قائلًا عبر الإذاعة الداخلية للطائرة ... أرجو أن ننتهيَ من هذا يا سيد «بيرق» وإلا فلْنَعُد إلى حيث

أتينا مرة أخرى ... وفي هذه اللحظة فقط ... قفز «البيرق» في الهواء ... ومن خلفه — وبعد تردد قليل — قفز «شهيب»، وتسابقَا في الهواء رغم إرادتهما ... والخوف يعتصرهما ... وابتعدَت «الشارتر» عن سماء السفينة، واتخذَت طريقَ العودة إلى الأجواء الفرنسية.

تحرَّكَت الطائرة المقلَّة للشياطين في اتجاه السفينة حتى صارَت فوقها ... ولم تمضِ دقائق عندما عادَت مرة أخرى إلى الأجواء الفرنسية ... هذا في الوقت الذي كان الشياطين يسبحون في الهواء فوق السفينة.

ورغم السرعة الرهيبة التي يسقطون بها في الهواء ... إلا أن فكرة رهيبة جالَت بخاطرهم جميعًا ... إنه تساؤل يقول: ماذا لو لم تلتقط إلا «شهيب» ثم غادرَت المكان وانطلقَت عائدةً من حيث أتَت؟

أليس هذا واردًا حدوثه ... بالذات وقد أخبرهم «البيرق» أنه أعطاه حوالي عشرين ألف دولار وشيكًا بمائتي ألف ...

ولو حدث هذا فسيُصبحون طعامًا للأسماك.

ونفس الفكرة جالَت في خاطر «البيرق» ... فلو وصل «شهيب» قبله إلى السفينة فلن يَصِل هو إلا إلى الماء.

وكَبِرَت الفكرة في رأس «البيرق» وكَبِر معها الوهمُ والخوف من أن يصيرَ هذا حقيقة تكاد تُنسيه أمرَ المظلة ... وأنه يجب أن يفتحَها لاقترابه من سطح السفينة ... حتى تصايَحَ رجالُها يصرخون فيه قائلين: اجذب الحزام ... شُدَّ الحبل ... افتح المظلة ... لا نريدك أن تموت هنا أيها الغبي!

تنبَّه «البيرق» للأمر ... وجذب حبلًا مدلًّى من المظلة ... فانفتحَت في اللحظة الحرجة ... فساعدَت على اعتداله ... وأصبحَت قدماه لأسفل ... فتمكَّن من النزول واقفًا على سطح المركب ... ومن خلفه «شهيب» يهبط واقفًا ... فأحاط به رجالُ السفينة ورحَّبوا به بحرارة ... فعرَّفهم على «البيرق»، فنظروا إلى «شهيب» في تساؤل قلق ... فقال لهم: إنكم تُقدِّمون خدمة جليلة لـ «البيرق» ورجال الرئيس.

تقدَّم كبيرُهم جمْعَ الواقفين وربَّت على كتفه، وقال له: نحن ليس لنا شأنٌ بالرئيس ولا برجاله ... نحن نريد نقودنا.

قدَّم لهم «شهيب» العشرين ألف دولار ... فاحتدَّ عليه القائد، وقال في حنَقٍ: أتهزأ بي يا «شهيب»؟

شهيب: إن معي شيكًا بالمبلغ كاملًا من «البيرق».

القبطان: سيبقى «البيرق» هنا حتى تأتيَ النقود.

في هذه الأثناء كان الشياطين قد اقتربوا من أجواء المنطقة ... فقال لهم القبطان عندما رآهم: مَن هؤلاء؟

– إنهم زملاؤنا.

القبطان: نحن لم نتفق على هذا العدد.

وأشار بيده إلى بحَّارته ... وارتفع خوارُ محرك السفينة ... وهدرَت الماكينات.

وشعر الشياطين أن في الأمر خدعة ... وأن ما حسبوا حسابه يحدث الآن.

وانزعج «البيرق» وصرَخ فيهم وفي «شهيب» قائلًا: ستتركون هؤلاء لَمَن؟

فصاح القبطان قائلًا: ليس لنا شأنٌ بهم ... فنحن لم نتفق على حملِ كلِّ هؤلاء.

البيرق: أتحصلون على مائتَي ألف نظيرَ حملي أنا و«شهيب» فقط ...

نظر له القبطان نظرةً سيئة ... وقال له في وقاحة فجَّة: وهل أخذتُ منك سنتًا؟!

البيرق: لقد أخذتَ عشرين ألف دولار وشيكًا بمائتَي ألف ...

القبطان: أنا لم أحصل إلا على العشرين ... أما هذا الشيك فلا يساوي دولارًا واحدًا ...

انتحى «شهيب» جانبًا بالقبطان ولم تمرَّ دقيقتان ... إلا وكان الشياطين يتوافدون على السفينة سقوطًا.

لقد كانت «ريما» أولَ النازلين ... وما إن حطَّت على سطح السفينة ... حتى أحاط بها البحَّارة يُعينونها في خلعِ أحزمة المظلة ... وقتَها شعرَت بسوءِ ظنِّها فيهم ... وكذلك فعلوا مع «بو عمير»، إلا أن مظلة «إلهام» أبَى القبطان أن ينزعَها عنها أحدٌ غيره.

وقتَها شعر «أحمد» بالقلق ... فهذا الرجل غير أمين على ركَّابه هذا ما يبدو من تصرفاته ...

وأخيرًا هبط «أحمد» واقفًا بجوار القبطان ... وتمكَّن وحدَه دون معاونة أحد من خلعِ أحزمة المظلة ... والقبطان يُراقبه بنظرات مريبة.

اصطياد الفهود!

لم يحتدَّ الموقف بين «أحمد» والقبطان لأكثر من دقيقة ... فقد سقطَت أمتعتُهم على سطح المركب ... وبمجرد أن رآها القبطان ... حتى أشار لبحَّارته ... فأحاطوا بها وحملوها إليه ... فتدخَّل الشياطين معترضين ... فحاول البحارة منْعَهم ... فكادوا يشتبكون معهم ... فتدخَّل «شهيب» ليُقنعَهم بعدم الاحتكاك بالبحارة ... فقال له «أحمد»: هل توافق على سرقة أمتعتنا؟

زمجر القبطان غاضبًا وقال له: إن لم تُحسن كلماتِك فسأُلقي بك في البحر ...

فتصدَّى «أحمد» في جرأة قائلًا: وبماذا تسمِّي ما تفعله أنت ورجالك؟!

القبطان: إن لنا عندكم مائتي ألف دولار ...

أحمد: وهل تظنُّ أن لدينا في هذه الحقائب مائتي ألف دولار؟!

القبطان: بالطبع لا ... ولكني سآخُذ كلَّ ما له قيمة معكم.

أحمد: لن نُعطيَك شيئًا ... وبينك وبين هذا الرجل اتفاق يجب أن تحترمَه ...

وأشار إلى «شهيب» الذي أعطاهم ظهره ... ولم يتدخل فيما يحدث ...

فقال القبطان: إن من حقي أن أعرف ماذا أحمل على ظهر سفينتي.

نظر «أحمد» إلى زملائه ثم قال: نعم هذا حقك ... فهل معنى هذا أنك ستفتشنا؟

القبطان: ألم تعترف أنه حقي؟!

أحمد: إذا كنت مصرًّا ... فدَعْنا نفتح لك الحقائب.

أشار القبطان للبحارة بالابتعاد، وقال: لا مانع عندي ...

وقام «أحمد» بفتح حقيبته وأخرج منها ملابسه وأدوات النظافة والاستحمام، فقال القبطان معلقًا: أهذا كل شيء؟!

نظر له «أحمد» وقال: هل كنت تنتظر شيئًا آخر ...

القبطان: ألم تأتوا للقبض على زعيم «فهود الصحراء»؟!

أمسك «البيرق» ذراعَ «شهيب» في عنفٍ وقال له: مَن أخبر هذا الرجل بما يقوله؟

سحب «شهيب» ذراعَه من قبضة «البيرق» وذهب إلى القبطان وانتحى به جانبًا وتحدَّث معه كثيرًا ... ثم تركه وعاد إلى الشياطين وقال له: القبطان يعتذر لكم.

صرخ القبطان في وحشية قائلًا: أنا لا أعتذر لأحد أيها الأحمق.

شعر «أحمد» أن «شهيب» ضائع بينهم ... وأن الصراع الآن بينهم وبين هذا القبطان المغرور ... وأن هذا الرجل قبض ثمنهم قبل أن يراهم ... وأنه حتى لو كان قد حصل على المقابل الذي اتفقوا عليه ... فإنه سيُسلِّمهم إلى «فهود الصحراء».

معنى هذا أن «فهود الصحراء» قريبون منهم جدًّا ... وقد يكون مقرُّ قيادتهم على بُعد أميال وأن هذه السفينة ترسو هناك ... وتحمل لهم كلَّ سُبُلِ عيشهم، ولكبر حجم السفينة فقد تخيلَت «ريما» أن «فهود الصحراء» لهم على متنها مقرٌّ متحرك لا يمكن لأحد اكتشافه ... ولا يمكن لأحد القبض عليهم ... وبصعوبة استطاعَت «ريما» الانفراد بأُذُنِ «أحمد» وأسرَّت له بما تشكُّ فيه.

وتغيَّرَت أولوياتُ «أحمد» عندما سَمِع ما تقول «ريما»؛ فقد رأى أنه احتمال معقول والدليل على ذلك ما يفعله هذا القبطان معهم ... وفي قرارة نفسه اتخذ قرارًا بالمواجهة ... ونظر إلى «بو عمير» مستفهمًا ... فأشار له بأنه جاهز للاشتباك وكذلك «إلهام» و«ريما»، وكان لا بد أن يفهم «بو عمير» شيئًا ما ... فاقترب من «ريما» وقال لها: هل هناك ما لا أعرفه؟!

فقالت له «ريما»: نحن نشكُّ أن «فهود الصحراء» على ظهر السفينة.

فَهِم «بو عمير» سببَ استعداد «أحمد» للمواجهة ... وكان عليه أن يناور ليحصل على أسلحته من حقيبته المغلقة ... فقال للقبطان: طبعًا حقيبتي ليس بها ما يريب؟

نظر له القبطان في شكٍّ وقال له: وكيف أعلم ...

فلَحِقَه «بو عمير» قائلًا: هل أفتحها لك؟

وفي استخفاف قال له: أرجوك!

فتح «بو عمير» الحقيبة، وأخرج كلَّ ما بها ما عدا شيئًا واحدًا إذا تمَّ تركيبُه مع هذه الأجزاء المفككة والتي ظنَّها القبطان آلاتِ تدليك ... لتحوَّلَت إلى سلاح فتاك.

وعندما التفت القبطان إلى «إلهام» كان «بو عمير» قد جمع أجزاء سلاحه ... وأصبح جاهزًا للاستعمال ... وكذلك «أحمد» الذي رفع بندقيته النصف آلية إلى مستوى وسطه وصرخ في القبطان قائلًا: أيمكنك التنحِّي وترك القيادة لنا؟

لم يَبدُ على القبطان الانزعاج الشديد ... وكأنه ينتظر النجدة من مكان قريب جدًّا ... وفي استعلاء شديد واستخفاف بمن حوله قال لـ «أحمد»: اترك أيها الشاب اللعبة التي في يدك حتى لا تؤذيَ نفسك.

لم تُعجب هذه اللهجة «أحمد» أو المفروض هذا ... فأطلق في الهواء رصاصتَين لإخضاع القبطان، غير أنه كان يقصد نتيجةً أخرى تمامًا ... لقد كان يقصد إخراجَ الدبابير من أعشاشها.

وصرخ القبطان في «أحمد» قائلًا: سأقتلك نظيرَ ما فعلت!

رفع «بو عمير» سلاحَه إلى مستوى وسطه أيضًا ... وأطلق دفعةَ رصاصات إلى الحبل الذي يحمل قاربًا لنجاة غرقه ... وسقط قارب النجاة في الماء.

انطلقَت الرصاصات في كل اتجاه من الشياطين الأربعة ... وهرول البحارة يجرون في اتجاه واحد ... هو اتجاهِ سلَّمِ النزول إلى قاع السفينة.

ولم يتوقف الأمر عند هذا ... بل غادروا السفينة وتجمَّعوا كلهم في قارب النجاة الذي كان يسبح بجوارها ... فخرج من القمرة المواجِهة لهم أحدُ «فهود الصحراء» ممسكًا ببندقية نصف آلية ... ويأمرهم بالعودة إلى السفينة.

ومن السطح العلوي للسفينة انطلقَت رصاصةٌ أسقطَت البندقية من يده، وعندما همَّ بالانحناءة لالتقاطها ... عاجلَته رصاصة أخرى ... فسقط في الماء.

وفي هذه اللحظة خرج من أكثر من مكان على سطح السفينة جنودٌ يحملون البنادق ... فاتخذ الشياطين سواترهم في أماكن مختلفة ... وتبادلوا معهم إطلاقَ النار ... وفجأة انطلقَت من مكان ما قنبلةٌ شديدة الانفجار قد تسقط أكثر من على سطح السفينة قتلى ... إذن فمَن أطلقها يحتمي بقاع السفينة.

وهنا سأل «أحمد» «بو عمير» عن قنبلة الغاز ... فقال له: معي أكثر من واحدة ...

أحمد: فلنُطلقها كلها في تتابُع سريع.

دحرج «بو عمير» قنبلةً لكل زميل من زملائه، وبإشارة من «أحمد» قاموا برمي القنابل تباعًا، وبعدها دحرجها لزملائه ... ثم انتظروا إشارة «أحمد» وبعدها ألقوها كما ألقَوا ما قبلها.

وانطلق دخانٌ كثيف في قاع السفينة وفي القمرات السفلية ... أخرج كل من فيها ... فمنهم مَن ألقى بنفسه في الماء ... ومنهم من صعد إلى سطحها ... فتلقَّفَته رصاصات الشياطين.

وكان «أحمد» يقف أمام السور العلوي للسفينة ... فلم يشعر إلا بمن جذبه من قدمِه وهوَى به إلى الماء.

معركةٌ حامية دارَت بين أحمد والرجل ... انتهَت بضربة قاسية على رأسه أفقدَته الوعي في الماء، وعبثًا حاول «أحمد» الخروج من الماء فلم يستطع.

فقفز «بو عمير» وكانت هذه فرصة للقبطان أن يحاولَ اختطاف «إلهام» و«ريما»؛ فقد أمر البحارة بإدارة المحركات إلى أقصى سرعتها.

وانطلقَت السفينة تشقُّ الماء وتبتعد عن «أحمد» و«بو عمير»، وقد فوجئا بما حدث، فحاولا اللحاق بها سباحة ...

وفي هذه الأثناء ... خرج القبطان من مكمنه شاهرًا بندقيته من خلف «إلهام» و«ريما»، ولم تشعرَا به إلا وهو يُطلق النار على بنادقهم، فأطاح بهما ... وأمرهما أن ترفعَا أيديَهما مستسلمتَين.

فظهر في هذه اللحظة رجلٌ يُشبه «البيرق» ... وقد أمسك به ... وقال للقبطان ... ماذا تفعل على ظهر السفينة؟

نظر له القبطان في احترام وقال يسأله: ماذا حدث يا سيدي؟

فقال الرجل: لقد حاول «البيرق» قتلي ... وقبضتُ عليه وكان على وشكِ تنفيذ مهمته القذرة ... فوجَّه القبطان ماسورةَ بندقيتِه إليه، وقال: هل أقتلُه يا سيدي؟

في هذه اللحظة رفع شابان رشيقان مفتولَا العضلات بندقيتَهما ... وقالَا للقبطان ولزعيم «فهود الصحراء» اللعبة انتهَت ... أنتم مقبوض عليكم ...

وكان يومًا مشهودًا في هذا البلد الشقيق يوم إعادة «البيرق» ومحاكمة زعيم المتمردين وقبطانه.

وكان يومًا مشهودًا لرقم «صفر» الذي تلقَّى التهاني من كلِّ مكان، فقام بتهنئة الشياطين.

هنـــداوي